

الترجمة في الجزائر: بين الواقع والآفاق

ملیكة اشا

m-traduire@hotmail.fr

المركز الجامعي أحمد زبانة - غليزان

ملخص:

يعالج بحثنا واقع الترجمة في الجزائر متتبعا مسار الممارسة من الناحية التاريخية قبل وبعد الاستقلال؛ ويهتم خصوصا بآليات تدريسها في الجامعات الجزائرية ومدى مواكبة هذه الأخيرة لمنهج التدريس الحديثة بغرض تكوين كفاءات ترجمة، ومترجمين محترفين في ظل الرهانات الاقتصادية والسياسية والتكنولوجية الراهنة وسيادة مبدأ العولمة.

الكلمات المفتاحية: ترجمة- آليات التدريس- الجامعة الجزائرية - كفاءة ترجمة- مترجم محترف- رهانات

اقتصادية -

Résumé :

Le présent travail a pour but de constater la réalité de la traduction en Algérie, en suivant le chemin de cette activité à travers l'histoire du pays durant la période du colonialisme et après l'indépendance, et s'intéresse surtout aux mécanismes de son enseignement dans les universités algériennes, et la qualité des cours dispensés par rapport aux méthodes modernes de formation dans le but de créer des compétences traductionnelles, et des traducteurs professionnels pour faire face aux défis économique, politique, et technologique, et à la mondialisation.

Mots clés : traduction – mécanismes d'enseignement- l'université algérienne- compétence traductionnelle- traducteur professionnel- défis économiques.

المقال:

إمكان المتمعن لتاريخ الترجمة العريق أن يلاحظ أن وجود الترجمة قد ارتبط، منذ البوادر الأولى لميلادها، بتحقيق حاجة تواصلية ملحة، إذ وانطلاقاً من أسطورة بابل الشهيرة⁽¹⁾، تنبه الإنسان إلى أهمية هاته القناة التي ساعدته في التواصل مع غيره ممن لا يجيد لغته، مضيقاً بالتالي الهوة بين الناطقين للغات المختلفة، والذين تقاطع سبلهم بحسب الأغراض والأسباب.

لظالما كانت الترجمة ملازمة لوجود الانسان، وأثبتت فعاليتها في إحداث التواصل بين متعددي اللغات، في مختلف الأزمنة والأمكنة، مختصرة المسافات والأشواط، ميسرة عبور شتى المعارف من ضفة إلى أخرى، فأدت مهمة الوساطة بين اللغات، وكان القائم عليها يتخذ دور الوسيط (Intermédiaire) إلى غاية اليوم.

وبالنظر إلى مبدأ اللجوء إلى الترجمة بحسب الحاجة، فقد ارتبط وجود هذه الممارسة في الجزائر تعليميا وتداوليا ابتداء من فترة الاحتلال الفرنسي للبلاد، حيث يمكن أن نتحدث في هذا الإطار عن الجذور الأولى لتعليم الترجمة في

1563

لقد وجدت الإدارة الفرنسية أن إدخال دروس الترجمة من الفرنسية إلى العربية أو العكس في مناهج التدريس يخدم غرضين اثنين هما:

- تعليم اللغة الفرنسية ونشرها في البلاد.

- إعداد مترجمين ليكونوا بمثابة وسطاء بينها وبين الأهالي.

فبرزت الممارسة الترجمة، "وأصبحت وظيفة المترجم من الوظائف البارزة والهامة في هياكل الحماية الفرنسية في بلدان المغرب العربي" (7) والجزائر خصوصا.

أما غداة الاستقلال، كانت اللغة الفرنسية هي الطاغية على الممارسات الكتابية والشفهية، فعمدت الجزائر إلى محاولة إحياء اللغة الوطنية، بتجسيد مشروع التعريب رغبة في إعادة بعث اللغة العربية لغة التعامل في المؤسسات الرسمية والعمومية وبدأ ذلك بالتفكير في إنشاء مدارس ومؤسسات تعليمية، وكذا مراكز بحث اصطلاحية لتعميم اللغة العربية، نذكر من بين هذه الهياكل: المدرسة العليا للترجمة (8) بمبادرة من اليونسكو من أجل التكفل بمهمة التعريب.

ومن أهداف إنشاء هذه المدرسة: تكوين هيئة مترجمين معربين من ذوي الأهلية العليا، يتمتعون بثقافة عامة واسعة، ليشغلوا مهامهم بمصالح العلاقات الخارجية والمصالح العمومية والمنظمات الدولية وغيرها؛ إضافة إلى تكوين مترجمين متخصصين في المجالات العلمية الرئيسية، ليعملوا بالمصالح الفنية والمنظمات الصناعية ومراكز الأبحاث والمختبرات وغيرها من المواقع التقنية.

وبعد سنوات تم إلحاق المدرسة العليا للترجمة بمعهد اللغات الأجنبية بجامعة الجزائر، ثم أنشئ قسم الترجمة في 1975، ليحول لاحقا إلى معهد متخصص في الترجمة التحريرية والفورية، أوكلت له مهمة التكوين في الترجمة على عدة مستويات:

1) فعلى صعيد الليسانس، يتم تكوين مترجمين وتراجمة مهنيين.

2) أما في إطار الماجستير، يتم تكوين إطارات جامعية من صنف أساتذة مساعدين.

وتجدر الإشارة إلى أن لغات التدريس تتراوح بين لغة أساسية إجبارية وهي العربية، إضافة إلى لغات أجنبية أخرى لتحقيق ثنائيات وثلاثيات العمل، ولا سيما الفرنسية والإنجليزية، والاسبانية والألمانية باعتبارها لغات اختيارية، ورغبة في توسيع نطاق تعليم الترجمة عبر الوطن، وتخفيف الضغط على معهد الجزائر، تم استحداث أقسام ترجمة على مستوى الجامعات الوطنية ضمن كليات الآداب واللغات في كل من وهران، تيزي وزو، عنابة، قسنطينة، تلمسان، معسكر، سيدي بلعباس وغيرها، إلا أن تم تجميد ليسانس الترجمة في السنة الجامعية 2008-2009 بحجة رداءة مستوى الطلبة المتخرجين، وعدم نجاعة البرامج التكوينية لمترجمي المستقبل.

لقد أثبتت البرامج التكوينية للمترجمين في الجزائر عجزها في تكوين مترجمين محترفين، إلا القليل منهم ممن خضع لتدريب مكثف ومتواصل في المدارس المتخصصة في داخل الوطن وخارجه، لأنها وببساطة كانت إلقائية بالدرجة الأولى، ولم توع المتدرب بشكل كبير بمتطلبات السوق، عازلة إياه في أسوار بابل العاجية، فاقصر تكوين المترجمين على تلقينهم مبادئ الترجمة النظرية دون الدخول إلى مخبر الترجمة الفعلي الذي يضع المتدرب أمام تحد مع النص، وإن حدث ذلك، فسيكون بمعية الموجه الذي يقترح نصوصا مبتورة من سياقاتها، منتقاة بذاتية مطلقة غير محددة الأهداف والنتائج، ودون الدخول في حوار جاد مع النص وتفاعل مع القضايا التي يطرحها.

وأصبحت الترجمة مجرد مقياس، بعد أن كانت تخصصا، لتدرس في إطار برامج ليسانس اللغات الأجنبية، وليسانس الآداب حيث برجت في السنة الثالثة ليلقن في خضمها الطالب ترجمة المصطلحات اللغوية، علما أن هذا الأخير لا يفرق بين الترجمة واللغة الأجنبية، ناهيك أن معلوماته تكاد تكون منعدمة في اللغات الأجنبية، وهذا ما يمثل إشكالية في سير وتدارس المقياس في حد ذاته.

أما معاهد الترجمة السابقة، فقد اقتصر دورها على استقبال طلبة الماستر والدكتوراه فقط؛ وخصصت مهمة تدريس الترجمة للمعهد العالي للترجمة بالجزائر العاصمة الذي تعود فكرة إنشائه إلى الثمانينات، إلا أنها لم تر النور إلى بعد عشرينين، لعدة أسباب أهمها الجانب التمويلي⁽⁹⁾، ولم يتحقق ذلك إلا في 2004، ليتم استقبال أول دفعة من الطلبة في 2006. وتكوينهم في اختصاصي الترجمة التحريرية والترجمة الشفهية، يفتح المعهد أبوابه للطلبة من كامل العالم العربي، بموجب امتحان قبول وتكون مدة الدراسة فيه سنتين تتوجان بإعداد رسالة يشرف عليها أحد مدرسي المعهد الذين تم انتقاؤهم على أساس خبراتهم الطويلة في مجال تعليمية الترجمة، وكذا الترجمة الاحترافية، على غرار ترجمة المؤتمرات، وغيرهم ممن يستطيعون استغلال تجاربهم في عملية التكوين والتدريب.

وإذا توجهنا إلى الممارسة الفعلية للترجمة باعتبارها أساس الذاكرة الثقافية وأداة الحوار الحضاري، نجد أن ما أنجز منذ الاستقلال من ترجمات ثقافية أدبية وعلمية في الجزائر لا يعكس بأي شكل من الأشكال العدد الهائل من الإطارات المتخرجة على مدى أزيد من أربعة عقود من أقسام الترجمة ومعاهدها، والتي كان من المنتظر أن تدفع بحركة الترجمة إلى الأمام؛ حيث "أصبحت ترجمة الكتب التي تعد ضرورة حيوية وملحة تواجه منافسة شديدة"⁽¹⁰⁾ بسبب ميل المترجمين إلى الترجمة الفورية التي تمنح مقابلا مغريا، وإلى فتح مكاتب خاصة للترجمة الرسمية، أما المترجم الثقافي فيكاد وجوده أن يكون غامض الملامح في غياب قانون منظم لمهنته⁽¹¹⁾ وكذا لمشقة العمل الذي يتولاه في سبيل نقل الآثار العلمية والأدبية بين اللغات، وحتى من اختار أن يقوم بهذه المهمة فعليا، فنجد أنه لم يلق تكوينا متخصصا في الترجمة، على غرار محمد ساري الذي فاق معدل ترجماته الخمس عشرة كتابا، في الرواية، والدراسات الأدبية والتاريخية.

وحتى المترجمين الحاليين الملتحقين بمهنة الترجمة الرسمية سرعان ما يصطدمون بصعوبة مراس هذه الترجمة المتخصصة، لأنهم وببساطة قد خضعوا لتكوين عام في الترجمة، وهناك منهم من لم يترجم نصا قانونيا طيلة فترة تكوينه، وهذا ما يترجم رداءة الترجمات الصادرة، ورفضها من قبل الهيئات الرسمية، ولا سيما القضائية لاحتوائها على أخطاء في مبنائها ومعناها.

وبعد هذا العرض لحقيقة وضعية الترجمة مهنة وممارسة، وطبيعة المهام التي يفترض بالمترجم، باعتباره عضوا فاعلا في مجتمع اليوم الغد، تأمينها؛ بات من الضروري الالتفات لهذا النشاط بالغ الأهمية بعين جادة، بدء من مرحلة التكوين، خاصة في ظل الرهانات المستقبلية التي تفرض نفسها على الساحة الدولية عملا بمبدأ " من لا يتقدم ويواكب الركب، فهو بلا شك من المتأخرين " ومن ثم اتخاذ بعض التدابير التي نراها حتمية في الوقت الراهن نذكر منها:

- 1) إعادة النظر في برامج تكوين المترجمين في الجزائر.
- 2) إسناد مهمة تخطيط البرامج لمختصين في الميدان.
- 3) إدراج لغات التخصص في البرامج التعليمية بغرض تحضير المتدربين لسوق العمل بعد تخرجهم، وإسناد مهمة تدريسها لأصحاب الاختصاص.
- 4) التركيز على الدورات التدريبية داخل وخارج الجامعة في إطار ما يطلق عليه بنظام الشراكة للإعداد التام للمترجمين، ولما لا توظيفهم بمجرد التخرج بحسب رغبتهم وتوجهاتهم الأدبية أو التقنية.
- 5) التركيز على الكفاءة (التحريرية والشفهية) في اللغة العربية واللغات الأجنبية كشرط القبول في أقسام الترجمة بغرض رفع المستوى، فنحن نتصور أن يتعدى التكوين فكرة تلقين اللغات الأجنبية من حيث القواعد والمفردات ليصل إلى هدفه المتمثل في معالجة مشاكل الترجمة الفعلية.
- 6) تشجيع المترجم الثقافي بحمايته بموجب قانون يعترف به كيانا وشخصا فاعلا ومشاركاً في بناء حضارة البلاد، مثله مثل المترجم الرسمي، ومدّه بالدعم المادي والنفسي الكامل لأداء مهمته على أحسن وجه.
- 7) تشجيع عملية الترجمة من وإلى اللغة العربية بإطلاق مشاريع كبرى للترجمة مثل المبادرة التي التزم بها المعهد العالي للترجمة بترجمة "مائة كتاب".
- 8) تخصيص مكافآت وجوائز لأحسن الترجمات بغرض دفع عجلة الترجمة.

هوامش البحث:

(1) الإصحاح الحادي عشر من سفر التكوين - Bible -

" كان أبناء نوح يتداولون نفس اللغة وقد أرادوا أن يشيدوا برجاً يبال لتسلق السماء لكن العقاب الإلهي كان جزاءهم وذلك بتفريق لغتهم و بالتالي أصبحوا غير قادرين على التواصل والتفاهم."

انظر كذلك: Joëlle redouane/ Encyclopédie de la Traduction. Alger : O.P.U-1996, p3

(2) مدرسة المدية في الوسط، قسنطينة في الشرق، وتلمسان في الغرب.

(3) قرار 16 جانفي 1876.

(4) مرسوم 23 جويلية 1895

(5) lycées franco-musulman ou « mederssa »

(6) **Thème** - تمرين الترجمة من : *اللغة الأم* - إلى - *اللغة الأجنبية* حيث تكون اللغة الأم هي اللغة المصدر واللغة الأجنبية هي اللغة الهدف أما : **Version** - فهي تمرين الترجمة

من : *اللغة الأجنبية* إلى - *اللغة الأم* حيث تكون اللغة الأجنبية هي اللغة المصدر واللغة الأم هي اللغة الهدف.

(7) علي القاسمي، الترجمة في تجربة المغرب العربي، مجلة العربية والترجمة، المنظمة العربية للترجمة، العدد 9، 2012، ص14

(8) أنشأت المدرسة العليا للترجمة في 1963 بمبادرة لليونسكو نظيرة لمدرسة باريس، غايتها تكوين مترجمين يتولون مهمة التعريب.

(9) للتوسع انظر شحادة خوري، دور جامعة الدول العربية ومؤسساتها وأجهزتها في ميدان الترجمة تخطيطا وإنتاجا، مجلة آتاء، العدد الرابع، الموقع: www.wata.cc

(10) محمد زرمان، الترجمة في الوطن العربي، أكرامات الواقع وتصورات المستقبل، أهمية الترجمة وشروط إحيائها، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2004، ص36.

(11) على غرار القانون المنظم لمهنة المترجم والترجمان الرسمي الصادر في 1995